وان شواهد الحال تخرجه عن تلبيس الكذب ولذلك استحسن به الصنعة ولم يستقبح في العقل ولو كان الكذب مستقبحا في العقل ومنها الدين الوارد باتباع الصدق وحظر الكذب لان الشرع لا يجوز ان يرد باخلاص ما حظره العقل بل قد جا الشرع زايدا على ما اقتضاه العقل من حظر الكذب لان الشرع ورد بحظر الكذب وان جر نفعا او دفع ضررا ومنها المروة فانها مانعة من الكذب باعثة على الصدق لانها قد تمنع من فعل ما كان مستكرها فاولى ان تمنع من فعل ما كان مستقبحا ومنها حب الثنا والاشتهار بالصدق حتى لا يرد عليه قول ولا يلحقه ندم وقال بعض البلغا ليكن مرجعك الى الحق ومنزعك الى الصدق فالحق اقوى معين والصدق افضل قرين وقال بعض الشعرا

عود لسانك قول الصدق تحظ به ... ان اللسان لما عودت معتاد
موكل بتقاضي ما سننت له ... في الخير والشر فانظر كيف ترتاد

واما دواعي الكذب فمنها اجتلاب النفع واستدفاع الضرر فيرى ان الكذب اسلم واغنم فيرخص لنفسه فيه اغترارا بالخدع واستشفافا للطمع وربما كان الكذب ابعد لما يامل واقرب لما يخاف لان القبيح لا يكون حسنا والشر لا يصير خيرا وليس يجنى من الشوك العنب ولا من الكرم الحنظل وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال تحروا الصدق وان رايتم فيه الهلكة فان فيه النجاة وتجنبوا الكذب وان رايتم فيه النجاة فان فيه الهلكة وقال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه لان يضعني الصدق وقلما يفعل احب الي من ان يرفعني الكذب وقلما يفعل وقال بعض الحكما الصدق منجيك وان خفته والكذب مرديك وان امنته وقال الجاحظ الصدق والوفا توامان والصبر والحلم توامان فيهم تمام كل دين وصلاح كل دنيا واضدادهم سبب كل فرقة واصل كل فساد ومنها ان يوثر ان يكون حديثه مستعذبا وكلامه مستظرفا فلا يجد صدقا يعذب ولا حديثا يطرب فيستحلي الكذب الذي ليست غرايبه معوزة ولا طرايفه معجزة وهذا النوع اسوا حالا مما قبل لانه يصدر عن مهانة

النفس ودناءة الهمة وقد قال الجاحظ لم يكذب احد قط الا لصغر قدر نفسه عنده وقال ابن المقفع لا تتهاون بارسال الكذبة من الهزل فانها تسرع الى ابطال الحق ومنها ان يقصد بالكذب التشفي من عدوه فيسمه بقبايح يخترعها عليه ويصفه بفضايح ينسبها اليه ويرى ان معرة الكذب غنم وان ارسالها في العدو سهم وسم وهذا اسوا حالا من النوعين الاولين لانه قد جمع بين الكذب المعر والشر المضر ولذلك ورد الشرع برد شهادة العدو على عدوه ومنها ان تكون دواعي الكذب قد ترادفت عليه حتى الفها فصار الكذب له عادة ونفسه اليه منقادة حتى لو رام مجانبة الكذب عسر عليه لان العادة طبع ثان وقد قالت الحكما من استحلى رضاع الكذب عسر عليه فطامه وقيل في منثور الحكم لا يلزم الكذاب شيئا الا غلب عليه واعلم ان للكذاب قبل خبرته امارات داله عليه فمنها انك اذا لقنته الحديث تلقنه ولم يكن بين ما لقنته وبين ما اورده فرق عنده ومنها انك اذا شككته فيه تشكك حتى يكاد يرجع فيه ولولا ما تخالجه الشك فيه ومنها انك اذا رددت عليه قوله حصر وارتبك ولم يكن عنده نصرة المحتجين ولا برهان الصادقين ولذلك قال علي رضي الله تعالى عنه الكذب كالسراب ومنها ما يظهر عليه من ريبة الكذابين وينم عليه من ذلة المتوهمين لان هذه امور لا يمكن الانسان دفعها عن نفسه لما في الطبع من اثارها ولذلك قالت الحكما العينان انم من اللسان وقال بعض البلغا الوجوه مرايا تريك اسرار البرايا وقال بعض الشعرا

تريك اعينهم ما في صدورهم ... ان العيون يودي سرها النظر

واذا اتسم بالكذب نسبت اليه شوارد الكذب المجهولة واضيف الى اكاذيبه زيادات مفتعلة حتى يصير الكاذب مكذوبا عليه فيجمع بين معرة الكذب منه ومضرة الكذب عليه وقد قال الشاعر

حسب الكذوب من البلية ... بعض ما يحكى عليه
فاذا سمعت بكذبة ... من غيره نسبت اليه

Copyright @ King Saud University